

تاريخ القبول: 2021/06/12

تاريخ الإرسال: 2020/10/01

تاريخ النشر: 2021/10/11

حرفة البناء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني
ومساهمة الطائفة الأندلسية على ضوء وثائق الأرشيف
والكتابات الأثرية

**Building profession of El Djazaïr during ottoman
period: Contribution of the Andalusian diaspora,
through archives and inscriptions.**

الدكتورة صليحة جدي

أستاذة بحث (ب)، المركز الوطني للبحث في علم الآثار، (الجزائر)

FDJEDDI2004@YAHOO.FR

الملخص:

كان لسقوط غرناطة أثرا عميقا على عمران مدينة الجزائر، فقد نزحت أعداد كثيرة من الأندلسيين من إسبانيا للاستقرار بالمدن والأقاليم الجزائرية الساحلية خاصة، وهم ذوي خبرة ومهارة.

أسهم تواجد الأندلسيين بمدينة الجزائر في دفع الفن المعماري إلى حال من الإبداع نتيجة تمازج الطرز المعمارية المتنوعة. فقد جاءوا بتقنيات معمارية عالية، تزامنت مع استلام العثمانيين الحكم في المنطقة ومباشرتهم تنفيذ مشاريع كبرى وفق الطراز المشرقي، مما أدى، بالإضافة إلى الطراز المحلي، إلى بروز ما يشبه مدرسة معمارية متميزة. ولعل من أهم هؤلاء الأندلسيين الذين ساهموا في هذا المجال وبقيت أعمالهم شاهدة عليهم، الأسطى موسى الأندلسي الذي كان معلما كبيرا في المنشآت العمومية والعمارة العسكرية، وقد ورث حرفته وصنعتة لأبنائه.

ومن خلال هذا البحث سنحاول إلقاء الضوء على حرفة البناء ومدى مساهمة الجالية الأندلسية التي كانت تقيم في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بالاستعانة ببعض الوثائق الأرشيفية والكتابات الأثرية.

الكلمات المفتاحية: مدينة الجزائر؛ العهد العثماني؛ حرفة البناء؛ الأندلسيون؛ الكتابات الأثرية.

Abstract:

The downfall of Granada had a considerable impact on the town planning of the Medina of El Djazaïr after the significant movement of the Moors from Andalusia to the coastal towns of North Africa.

These Andalusians established in Algiers were so skilful in the field of building arts and therefore contributed to the blooming of a new spirit of mixed creativity in the field of architecture. and the emergence of a school of architecture rich in new techniques of an oriental style. Among these Andalusians who marked history, Ousta Moussa Al Andaloussi, a great master and his two sons Ali and Ibrahim, authors of several civil, religious and defensive constructions.

Through our intervention, we hope to highlight the building profession and the contribution of the Andalusian diaspora of Ottoman Algiers in this art, through archives and inscriptions.

Keywords: Medina of El Djazaïr; Ottoman period; building profession; Andalusians; inscriptions.

المؤلف المرسل: صليحة جدي، الإيميل: fdjeddi2004@yahoo.fr

1. مقدمة:

كانت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تدار بهيئة إدارية يترأسها الباشا أو الداى، ثم الديوان والجهاز القضائي التشريعي الذي كان يضم قضاة وفقهاء من المذهبين الحنفي والمالكي، بالإضافة إلى عدة أجهزة إدارية كشركات الأوقاف وبيت

المال والحسبة وأمناء الأسواق وممثلي الأحياء والطوائف الحرفية. وكانت الأحياء السكنية تخضع إلى تنظيم محكم رغم نسيجها العمراني المعقد. فقد كانت المدينة تنقسم إلى منطقتين طبوغرافيتين هما "الوطى" أو المنطقة السفلى المحاذية للبحر والمخصصة لدار الإمارة والمرافق العامة والأسواق، ومنطقة الجبل التي كانت تضم الأحياء السكنية التي عرف كل باسمه وبمعالم عمرانية بارزة مثل العيون العمومية والمساجد (مثل حومة بير جباح، حومة سيدي محمد شريف...). كانت أعمال البناء والتعمير خاضعة لهذا المجال الإداري، كما كان البنّاؤون وأصحاب الحرف المتعلقة بالبناء والعمران مثل الحجارين والجبارين ينتظمون في طوائف حرفية يستعان بها في تنفيذ المشاريع، حيث ساعدت مختلف مصادر الأرشيف العثماني في التعرف على مراحل تنفيذ المشاريع وطرق إنجازها.

وقد تزامن التوسع الحضري للمدينة مع توافد الأندلسيين الكبير، حيث شهدت أعمال البناء والنشاط المعماري ازدهارا غير مسبوق. فكان للأندلسيين بعد استقرارهم في مدينة الجزائر دور كبير في تطوير اقتصاد المدينة ومجالها العمراني والمعماري.

2. الهجرة الأندلسية وأثرها على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

2. 1. لمحة عن الهجرة الأندلسية وأسبابها:

يشير العلامة ابن خلدون إلى هجرات أهل الأندلس إلى المغرب الأوسط حيث يقول "... وأما أهل الأندلس، فافترقوا في الأقطار، عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أمم النصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وأفريقية من لدن الدولة اللّتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع، وتعلقوا بأذيال الدولة..."¹

بدأت هجرة الأندلسيين الجماعية نحو أقطار المغرب العربي وأهمها السواحل الجزائرية عقب سقوط عواصم الأندلس الكبرى في أيدي النصارى، وتواصلت تلك الهجرات خاصة بعد قرار الطرد الذي أصدره الملك الإسباني فيليب الثالث بهدف تصفية المسلمين في إسبانيا، ونتيجة لتلك الهجرات المتتالية ازداد عدد

سكان المناطق الساحلية للمغرب الأوسط، و بوصول عدد كبير منهم إلى مدينة الجزائر أصبح الأندلسيون يشكلون ربع سكان مدينة الجزائر في بداية القرن السابع عشر ميلادي، حيث قدر عددهم سنة 1609م بما لا يقل عن 25.000 نسمة.² هكذا أصبحت المدن الجزائرية، خاصة دار السلطان، منطقة أمان للأندلسيين حيث استقروا في فحوص المدينة وانتشروا بالأرياف القريبة منها فعرفوا بأهل الأندلس.

2.2. مدينة الجزائر ومساهمة الأندلسيين في عمرانها :

كان لسقوط الأندلس أثره العميق على عمران مدينة الجزائر، فقد نزحت أعداد كثيرة من الأندلسيين من إسبانيا للاستقرار بالمدن والأقاليم الجزائرية الساحلية خاصة، وسكنوا عدة مدن منها مدينة الجزائر ووهران و البليدة والقيعة.³ وبالتالي نشطت حركة العمران في المنطقة.

وفي ضوء هذه الحركة العمرانية الواسعة عرفت المدينة، رغم طوبوغرافيتها الوعرة، توسعا هائلا انتهى باستغلال كل أراضي الهضبة التي تقوم عليها المدينة، فارتفعت كثافتها السكانية إلى أقصى حد ممكن، وبالتالي توسعت المدينة تدريجيا من قرية صغيرة إلى مدينة رئيسية، تطل على البحر الأبيض المتوسط وتسيطر على جهته الغربية بأسطولها القوي لمدة ما يقرب من ثلاثة قرون، فتجربتهم في تطوير المدينة وتوسيعها كفيل بأن يعطي للمعماريين والمخططين درسا في المنطق العمراني وإنشاء المدن وإدارتها.

2.3. مساهمة الأندلسيين في المجال الاقتصادي:

لعبت الهجرة الأندلسية إلى الجزائر دورا ايجابيا وفعالا في تحريك النمو الاقتصادي فنجد ازدهار وتطور عددا من الحرف⁴، كما أدخلوا صناعات جديدة وعملوا على تطوير ما كان موجودا من الحرف التقليدية كصناعة النسيج والزراعي

وصناعة الحلي والمجوهرات وصناعة الأسلحة (البنادق والبارود) وصناعة وتشكيل الآجر والقرميد والخزف، كما تمكنوا من الاستحواذ على مقاليد التجارة. فانتشرت حوانيتهم في الشوارع الرئيسية بالقسم الأسفل من المدينة أو ما كان يسمى بالوطى.⁵ لم يقتصر النشاط الاقتصادي الخاص بالهجرة الأندلسية في مدينة الجزائر وبقية المدن التي استقروا بها على الجانب الحرفي، فقد نشطوا العمل الزراعي في الساحل الشرقي والغربي للمدينة، حيث استصلحوا الأراضي وأخرجوا الماء بفحص باب الوادي وفحوص باب عزون و بنوا الأحواض والصهاريج والسواقي والقنوات وحفروا الآبار وأنشئوا العيون العمومية.

كما أن النشاط التجاري كان له دورا كبيرا في إنعاش الاقتصاد فاحتكروا الصناعات والمهن. فمن خلال وثائق محلية بالأرشيف الوطني يمكن التعرف على نوعية النشاط الاقتصادي لهذه الفئة، كما يمكن استنتاجه من الألقاب الحرفية التي كانت تضاف إلى أسماء الأعلام أو استخراجها من أسماء الصنائع والمهن المسجلة في الوثائق، فهناك أسماء عديدة من الأندلسيين الذين هيمنوا على المجالين الصناعي والتجاري ونذكر على سبيل المثال لا للحصر الحداد محمد الأندلسي وصانع الشواشي الحاج علي بن حسن الأندلسي وصانع الصابون علي بن عمر الأندلسي ومعلم العيون موسى الأندلسي وأصحاب البطان المعد لصناعة الشاشية بالبليدة وهم الحاج علي بن أحمد الفهري الأندلسي وشركاؤه⁶.

كانت هذه الفئة متماسكة اجتماعيا و بذلك أصبحت عاملا فعالا في تطور المجتمع الجزائري، وأدت دورا هاما في المجال الاجتماعي والاقتصادي حيث أخذت على عاتقها تطوير كافة الأنشطة الحرفية والمهنية، ولمعرفتهم العلمية الواسعة في جميع المجالات احتكروا أعلى المناصب الإدارية وأهم الوظائف الاجتماعية، وتمكنهم الكبير للتقنيات في عدة مجالات مهد لهم الطريق لترأس أغلب الطوائف

الحرفية لمدينة الجزائر الهيمنة على أهم الصناعات منها صناعة الأسلحة وتجهيز السفن و تكنولوجيات الري وأتقنوا حرفة البناء التي برعوا فيها.

3. الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

3. 1. مفهوم الحرفة:

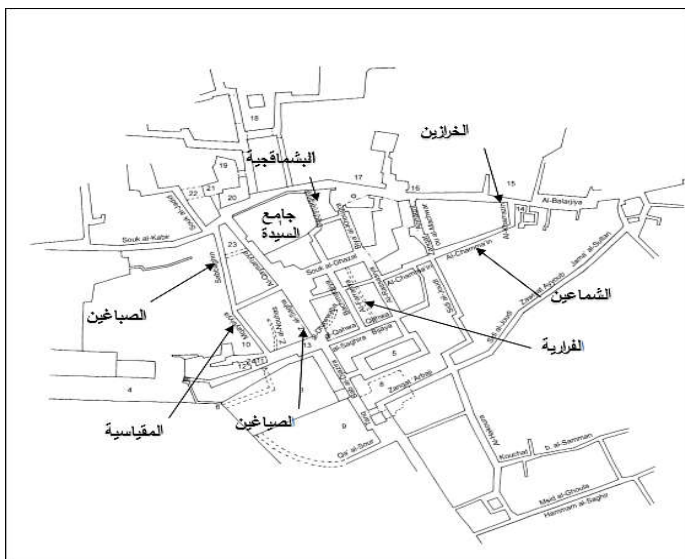
من الاحتراف وهو الاكتساب أي كان والكسب هو الحصول على الشيء وقيل الحرفة هي الصناعة وجهة الكسب والمحترف هو الصانع. أما اصطلاحا فهي الصناعة التي يرتزق منها، أي أنها عمل يدوي يمارسه الانسان ويكسب منه عيشه.⁷ و تعد الحرف من مظاهر النشاط الاقتصادي لذلك اهتم بها المؤرخون المسلمون بل أعطوها حيزا كبيرا في مؤلفاتهم وحاولوا تصنيفها إلى أنواع متعددة.

عرفت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنواعا مختلفة من الحرف وما لاشك فيه أن لكل نشاط حرفي صناع وحرفيون مهرة في مختلف المجالات، واتصف الحرفيون بالخبرة والمهارة إلى درجة تقدموا فيها على غيرهم، حتى أن البعض منهم لقب باسم الحرفة التي مارسها. وقد جدت تسعة و تسعين حرفة.⁸ لكل حرفة أمين.

3. 2. أشهر الحرف و الحرفيين:

من أشهر الحرف والحرفيين يمكن ذكر النجارون وهم الذين يمارسون حرفة النجارة وهي حرفة تتفرع إلى عدة تخصصات كالنقاش والحفار والدهان والخراط، السفارون وهم الذين يصنعون الأواني النحاسية ويقومون بنقشها وإصلاحها، الشقماقية وهم صانعوا ومصلحو الأسلحة كالبنادق وتحضير البارود، بالإضافة إلى عدة حرف منها الصياغون، المساييسية (صناعة الأساور)، العطارون (بيع العطور)، الشماعون (صناعة الشمع)، الدباغون، الحرارون (صناعة الحرير)، الخبازون، الخراطون و الفراغية (صناعة الأقفال).

ومن أهم الحرفيين نذكر البناؤون، يمتنون حرفة البناء، ويعتبرون من أهم الشرائح حيث كان عدد كبير منهم يقوم ببناء المساجد والدور والقصور والقناطر والمنشآت المائية وغيرها من أعمال البناء. وقد شهدت هذه الحرفة ازدهارا واسعا في أعمال البناء والعمران وقد أشارت الكثير من المصادر إلى مشاركة البنائين في المشاريع الهامة.



خريطة توزيع الحرف في مدينة الجزائر خلال العهد

3.3. التنظيمات الحرفية:

اهتم الجزائريون خلال العهد العثماني بهذا النوع من المهن والحرف حيث حددوا لها تشكيل إداري أو ما يسمى بالتنظيم الحرفي، وهو أشبه ما يكون بالتجمعات المهنية والنقابات العمالية في الوقت الحاضر، وكانت هذه التنظيمات تعنى بشؤون أفراد الحرفة الواحدة. كانت تجمعهم طائفة واحدة مستقلة عن غيرها، لها نظامها الخاص. وامتاز التنظيم الإداري للحرف والصناعات بالتدرج والتسلسل واتخذ هيكلا في غاية الدقة و الإتقان.

تتميز التنظيمات الحرفية بأنها ذات أسس أخلاقية يعتمد في تسييرها على قوانين تم الاتفاق عليها بين السلطة الحاكمة من خلال شيخ البلد من جهة وأمناء الحرف من جهة أخرى، ومن مهامها حماية أصحاب الحرفة و ضمان مستوى معقول للحرفة في حد ذاتها، فهي ليست إطار عمل فحسب بل إطار للحياة الاجتماعية.⁹ يحتوي هذا التنظيم على هيكل إداري يأتي على رأسه "أمين الأمناء"، وجد هذا المنصب منذ أوائل القرن السابع عشر ميلادي، وهو السلطة العليا المشرفة على الجماعات الحرفية و منها جماعة البنائين، ويعتبر المسؤول الأول عن سجلات الحكومة الخاصة بالنشاط الحرفي، وكذلك مسؤول عن النظام الضريبي الذي تخضع له الجماعات الحرفية، كما يشرف على دفتر قوانين البلد و الرسوم المسطرة على الحرف وصنائع البلد¹⁰، ومن مهامه أيضا مراقبة الأسواق والأوزان والمكاييل، وهي مهام تشبه دور المحتسب. ومن أشهر من تقلد هذا المنصب في مدينة الجزائر العثمانية مصطفى بن أحمد بن محمد الشويهد وهو من عائلة أندلسية.¹¹ أما بالنسبة إلى تقسيم العمل الحرفي فقد كان لكل حرفة رئيس أو شيخ من أهلها خبير بحرفته، لقب بالأمين يكون على علاقة مع المحتسب ومع السلطة للبحث في شؤون أصحاب حرفته، وهو منصب حظيت به الجالية الأندلسية.

ويندرج بعده أستاذ الحرفة ومنزلته أدنى، ثم يأتي بعدها الصانع والصبيان والأجراء ضمن إطار الحرفة الواحدة. كانت العادة أن يتدرج الصانع في الحرفة ويبدأ بالانتساب لها كمبتدئ أو كصبي، ثم يصبح عامل أو صانع مدرب وينتقل بعدها إلى أن يصبح معلما.

3.4. التنظيم الحرفي في البناء :

بين أهم التنظيمات الحرفية وأهمها نجد حرفة البناء، يترأسها أمين البنائين وهو يمثل السلطة العليا للحرفة، يتم تعيينه من طرف الداي، حيث أن أمين البنائين

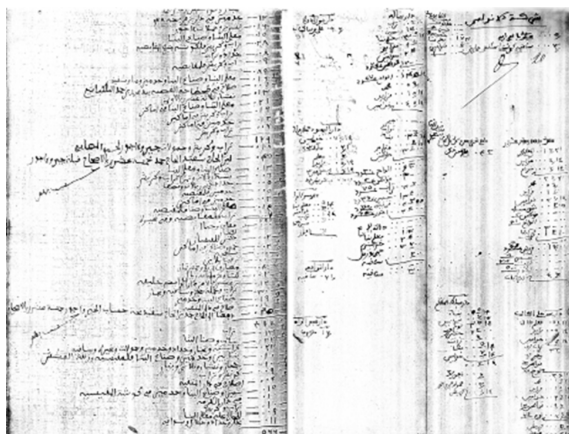
معماري، وهو من أنشط الأمناء مما جعله يرافق أمين الفحص لمعاينة الجناين أو البساتين الموجودة في فحص المدينة (أي خارج أسوار المدينة)، وكانت أمانة جماعة البنائين وراثية حيث تولى هذا المنصب الكثير من معلمي البناء من الأندلسيين كعائلة القشطولي والثغري وأكثرهم حضوراً كأمين البنائين الحاج محمد بن محمد الذي تولى هذا المنصب ثلاث مرات.¹²

وللأمين مساعدين أولهما " الكاهية " أو "كيخية" وهو منصب خصت به حرفة البناء دون غيرها من الحرف لما لهذه الأخيرة من أهمية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال تلك الفترة. أما المساعد الثاني فهو "الشاوش"، وهو الكاتب العام للتنظيم الحرفي، حيث يليهما في السلم مباشرة الخوجة، وهو بمثابة الكاتب الذي يقوم بتسجيل كل صغيرة و كبيرة في الورشات والنشاط الحرف وحياة الجماعات الحرفية ويستعين بتنظيم البنائين إلى " الصايحي"، وهو من يقوم بجمع الحسابات، وجاء في آخر الهرم ما يسمون ب "الرفقاء"، وهم جماعة من معلمين البناء متقاعدين لهم خبرة ودراية كبيرة بأشغال البناء يستعان بهم في المتابعة الميدانية لورشات البناء ويرافقون بذلك أمين الأمناء في معايناته للمواقع.¹³

أما فيما يخص ورشة البناء فتتكون من " المعلم "أو" الأوسطي "وهو رئيس الورشة يعمل تحت أوامره الصانع، ويطلق هذا اللقب على البناء الذي يتقن حرفة البناء؛ أما فيما يخص " الصانع فهو العامل الذي يعمل في الورشة تحت قيادة المعلم، وهو يحسن حرفة البناء لكن لم يكتسب مهارة المعلم والصانع أكثر عددا في ورشة البناء من المتعلمين أو المبتدئين، وهم يستخدمون في الورشات بعقود رسمية لمدة خمسة سنوات يتقاضون فيها أجر¹⁴.

4. الطائفة الأندلسية و حرفة البناء بمدينة الجزائر العثمانية:

يبدو أن حرفة البناء قد عرفت ازدهارا لا مثيل له بعد مجيء الأندلسيين وقد شهد بذلك الدكتور "شاو"، حيث أكد أن أهم الحرف التي يحسنها أهالي مدينة الجزائر هي البناء¹⁵. فنجد إشارة في إحدى وثائق سلسلة بيت البايك (وثيقة رقم 1) إلى مجموعة من الأندلسيين الذين قاموا بتأسيس شركة البناء، حيث أن الوثيقة تقيد المصاريف التي صرفت لانجاز عدة مباني ومنشآت، منها مصاريف شراء المواد الأولية ودفع مستحقات البنّاعين والنجارين وغيرها وكذا الأجور المدفوعة مقابل ترميم منشآت مختلفة من دور وعيون عمومية وسواقي ومنشآت أخرى.¹⁶ كما جاء اسم بعض المعلمين وحرفي البناء والمساعدين في تلك الوثيقة منها اسم "المعلم حمد" معلم البنا "الحاج علي" وحمد البناي" كما ذكر ممن يتعامل معهم من التجار كبايع الأجر "الحاج محمد" وبائع الجير "الحاج حمد بن الحاج"¹⁷



وثيقة رقم 01 : تشير إلى مصاريف انجاز عدة مباني

4. 1. المعلم أو الأسطى موسى الأندلسي:

كانت لطائفة أهل الأندلس شركات متعددة الخدمات منها شركة خاصة بأشغال البناء. واتقان هذا النوع من الحرف جعل هذه الطائفة تترأس طائفة البنائين، ولعل أشهر ما وصل إلينا من خلال الكتابات التأسيسية إنجازات "المعلم موسى" أو الأسطى¹⁸ موسى الأندلسي، وهو أندلسي الأصل وكان معلما كبيرا ومشهورا في الأشغال العمومية والعمارة العسكرية. من الأندلسيين الذين هربوا من بطش النصاري وذلك بحكم صنعته المكتسبة. نجد في إحدى الكتابات التذكارية اسمه ونسبه وهو موسى اليسري الأندلسي الحميري¹⁹.

ويحتفظ حاليا بثلاث كتابات تأسيسية تشير إلى جانب من إنجازاته، واحدة منها لا تزال في مكانها، قرب المسرح الوطني للجزائر العاصمة، أو ما كان يسمى في الفترة الاستعمارية بالدائرة العسكرية (Cercle militaire)، وكتابتين محفوظتين بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية. تحتوي الكتابة الأولى على نص يخلد اسم موسى الأندلسي ببنائه لثكنة للعساكر وذلك في عهد الباشا حسين، ونجدها في مجمع Colin هذا هو نصها: "تم بناء دار// من حسن الديار// باليمن واليسار// للعسكر الحرار// ايام تبليغ المراد// دولة مولانا مراد// في زمان الباشا حسين// لازال مبسوط اليدين// على يدي موسى اليسري// الأندلسي الحميري// عام ثلاثين وألف وسبعة بحسن وصف من هجرة المختار صلى عليه البار// مادامت الجزائر// تعمرها العساكر".²⁰

4. 2. مساهمة الأسطى موسى الأندلسي في مجال المنشآت المائية:

كان لوجود الأندلسيين بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني أثر كبير في توسيع المدينة خارج الأسوار وتزويدها بالمنشآت المائية ونظام ري محكم. وهذا ما تؤكد المصادر التاريخية، حيث قاموا بجلب مهنة الري من شبه الجزيرة الأيبيرية إلى

مدينة الجزائر مما أدى إلى كثرة الحداث في فحوص المدينة وضواحيها. وقد ساعد على ذلك كثرة الآبار و الينابيع و العيون الجارية²¹.

نذكر أن معظم أعمال جلب المياه تعود إلى خبرة هؤلاء الأندلسيين الذين اشتهروا بهذه الأعمال، وقد صادفت هذه الخبرة اهتمام الحكام العثمانيين الذين كانوا مولعين بمشاريع الري وبناء العيون.²² ومن أهم هؤلاء الأندلسيين الذين أسهموا في هذا المجال وبقيت أعمالهم شاهدة عليهم كما ذكرنا من قبل، الأسطى موسى الأندلسي الذي نجح في جلب مياه عيون الحامة، وأنشأ أول ساقية (Aqueduc) لتزويد المدينة بالمياه الصالحة للشرب.

رغم كثرة هذه العيون، إلا أننا لا نجد كتابة تذكارية تخلد اسمه وهذا ربما بسبب تهديهما مع العلم أن أكثر أقسام المدينة التي شهدت تهديما كلياً من طرف المستعمرين هو الجزء الجنوبي الشرقي، لكن هناك نص كتابي يخلده ويذكر فضله وجهده في هذا المجال يتمثل في عقد أصلي يعود إلى سنة 1033هـ/1623م والذي تحدث عنه "ديفولكس Albert Devoulx"، وهو خاص بتأسيس جامع وزاوية للجالية الأندلسية المقيمة بالجزائر، حيث نجد في هذا العقد قائمة من أسماء الشرفاء الذين ساهموا في إنجاز هذه المنشآت ومن بينهم نجد المعلم موسى الأندلسي الذي لقب بمعلم العيون.²³

مما يجعلنا نرجح أن الأسطى موسى أنجز عدة منشآت عمومية بمدينة الجزائر لغاية سنة 1623م. ثم انتقل في مرحلة ثانية من حياته المهنية إلى تشييد المباني العسكرية، حيث أصبح يلقب بصاحب المباني. ومن المباني التي اتخذت اسمه نذكر ثكنة باب الجزيرة وبرج موسى ببجاية.

بعد استقرار الأسطى موسى في مدينة الجزائر، شرع في بناء السواقي والقنوات المائية وأشهرها ساقية الحامة التي اكتشف منبعها وطلب من الداى إيصال

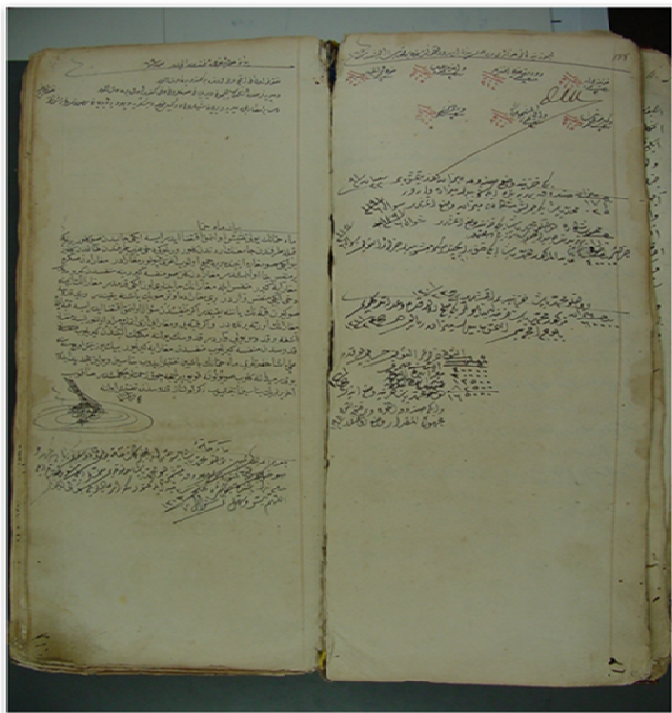
مائها، فكلفه بانجازها. وقد ذكرت هذه الساقية في وثيقة "بيان ماء حما" ²⁴ المؤرخة بـ 1203 هـ / 1788 م ²⁵ (وثيقة رقم 02) .

حيث اتخذ من منطقة الحامة مصدرا لمياه الساقية التي بنى قنواتها تحت الأرض لتزويد مدينة الجزائر بالمياه الصالحة للشرب.

تعتبر هذه الساقية أسوار المدينة عبر باب عزون، ²⁶ وذلك بعد قطع مساحة 4300 م لتزود بذلك 29 عينا وعددا من التكنات العسكرية وقصر الجنية وهكذا يمكن استخلاص أن القناة كانت تغطي القسم الجنوبي الشرقي للمدينة بالمياه الصالحة للشرب. تمت أشغال البناء سنة 1011هـ-1605م وذلك في عهد كوسة مصطفى باشا ²⁷، اهتم بعدها الأسطى موسى بنشيد العيون التي اخذت تزداد وتكثر في هذا القسم من المدينة، فكان الأسطى موسى هو الذي فتحها وبنى واجهاتها إلى أن أصبح يلقب "بمعلم العيون".

ذكر أحمد الشريف الزهار هذه الساقية في مذكراته بقوله: "...ومن خيراته أنه أتى بماء الحامة للبلاد، وبنا له ساقية وأوقف عليه أوقافا لخدمة مجرى الماء إن فسد ولأجرة وكيل الماء وأمر بتفريقه على أبراج باب الجهاد وعلى المساجد والقشطل العسكرية والميضات للوضوء، وما بقي فرقه على العيون يزقاق البلاد يملأ منه الناس للديار وهذا الماء كان يأتي من قبل للبلاد إنما كان ضعيفا" ²⁸.

ويذكر كلاين (Henri Klein) أنه تم العثور على كتابة تخلد هذا العمل نصها " توصل الداوي محمد باشا -جزاه الله على أعماله - من جلب الماء إلى مدينة الجزائر انطلاقا من منبع الحامة واتصل لأجل إتمام المشروع بأشخاص ذوي تجربة ومسؤولين وبخوجة العيون ومباشرة شرع العمال في حفر القنوات و تغطيتها. وواصلوا العمل حتى مدينة الجزائر أعانهم الله على ذلك كتب يوم 7 من شهر شوال عام 1203 هـ / 1758 م " ²⁹.



وثيقة رقم 02 : بيان ماء الحامة عن

عاد الأسطى موسى مرة أخرى إلى مدينة الجزائر وشرع في بناء التكنات والأبواب وترميمها. ويحتفظ حاليا بثلاث كتابات تذكارية واحدة لا تزال في مكانها، قرب المسرح الوطني للجزائر العاصمة أو ما كان يسمى بالدائرة العسكرية، وكتابتين محفوظتين بالمتحف الوطني للآثار. أما عن الكتابة الأولى فتحتوي على نص يخلد

موسى ببنائه ثكنة للعساكر هذا هو نصها: "تم بناء دار. من حسين الديار. باليمن واليسار. للعسكر الحرار. ايام تبليغ المراد. دولة مولانا مراد. في زمان الباشا حسين. لازال مبسوط اليدين. على يدي موسى اليسري. الأندلسي الحميري. عام ثلاثين وألف وسبعة بحسن وصف من هجرة المختار صلى عليه البار. مادامت الجزائر تعمرها العساكر".³⁰ الأمر يتعلق ببناء ثكنة للعسكر وذلك في سنة 1037هـ-1627م.

خلف الأسطى موسى ذرية، علمهم صنغته وحرفته، ويمكن التعرف على اثنين منهما: علي وإبراهيم. واصلا عمل أبيهما في حرفة البناء حيث شيد كل منهما مباني ذات أهمية كبرى للمدينة. أما عن علي فقد شيد ثكنة تبعد عن الثكنة التي شيدها والده من قبل ببعض الأمتار، وأطلق عليها بالجديدة أو الفوقانية نسبة إلى موقعها ولا تزال كتابتها محفوظة هناك. وهذا هو نصها:

كمل هذا البناء المعمور **** عن إذن العسكر المنصور

في ولاية المولى الكبير **** أبي الحن علي باشا الشهير

خليفة مولانا الباشداح **** خلد الله لنا ملكه في الأفراح

على يد الأمين سيد علي **** ابن السيد موسى صاحب المباني

في أوائل شهر ربيع الأول **** عام سبعة وأربعين وألف الأكم³¹

وحسب نص عقد أصلي خاص بالأوقاف يعود إلى سنة 1064هـ-1654م فإنه كان بدير الأوقاف الخاصة بمكة ونجد اسمه وألقابه الجديدة: "الحاج علي خلاطو بن موسى الأندلسي".³²

أما عن ابنه الثاني فهو إبراهيم، فقد شيد عدة مباني منها مخزنا للعسكر، وكتابته التذكارية محفوظة بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية، هذا هو نصها: " الحمد لله فاتح الأغلاق وباسط الأرزاق والصلاة على

من ركب البراق محمد الراقي للسبع الطباقي. أقيم بناء المخزن الموقر لحفظ الزرع للعسكر المنصور ولاية الأمير أبي الوفا مولانا اسماعيل باشا بإذن الواقف على البلاد والعباد الحاج آغا صانه الملك الجواد على يد براهيم بن موسى بتاريخ الحي المغني. نلاحظ أن ذكر السنة جاء في شكل جملة والذي يعطينا 1080هـ-1669م.

5. خاتمة:

هكذا أسهم الأسطى موسى وأولاده في تعمير المدينة، ولا نستبعد أنه قد ورث حرفته وصنعتة للأحفاد، فللجالية الأندلسية التي كانت تقيم في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني الفضل الكبير في ازدهار ورقى المدينة، كما كان لها الفضل في توسيع العمران خارج الأسوار وتزويدها بالمنشآت المائية؛ حيث شكل الأندلسيون أساس اقتصاد المدينة بمثل الأعمال الحرفية والتجارية والزراعية التي جلبوها معهم من موطنهم الأصلي الأندلس بمختلف أقاليمه، فاستفاد الجزائريون من الخبرة العمرانية التي كانت بحوزتهم، فشهدت المدينة نهضة عمرانية بدءا من مطلع القرن السادس عشر ميلادي.

الهوامش والمراجع:

- ¹ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الفكر، 1422هـ/2002، ص401.
- ² ناصر الدين سعيدوني ولشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، الجزء الرابع، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982، ص98.
- ³ ناصر الدين سعيدوني، "الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي"، في مجلة أوراق مدريد، العدد الرابع، المعهد الإسباني العربي للثقافة، 1984، ص ص111-118.
- ⁴ - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م، مقارنة اجتماعية - اقتصادية، منشورات ANEP، 2007، ص 229.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، طبعة 1، 2003. ص، ص، 51-52.

⁶ - نفسه، ص، ص، 92-93.

⁷ قسطاس عبد الستار حميد، أرباب المهن والحرف في المجتمع الأندلسي خلال عصري الإمارة والخلافة (١٣٨-٤٢٢ هـ / ٧٥٥-١٠٣٠ م)، مجلة دراسات تاريخية، مجلد 02، ملحق 17، 2014، ص 320.

⁸ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 154.

⁹ Touati, H ; « Les corporations de métiers à Alger à la période ottomane », in Revue d'histoire maghrébine, 1987, p 129.

¹⁰ عائشة غطاس ، نفسه، ص 182.

¹¹ عائشة غطاس ، نفسه، ص 186.

¹² عائشة غطاس ، نفسه، ص.ص 198-201.

¹³ نفسه، ص.ص 111-112.

¹⁴ نفسه، ص 105 - 106.

¹⁵ Dr. Shaw ; Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, Philologique, etc. de cet état. Traduit de l'anglais par J. Mac Carthy, Paris 1830, p93.

Cresti, F ; Les métiers traditionnels de la construction pour la sauvegarde des sites et des édifices historiques, in « Mujtama wa Omrane », n°15-16, Tunis, 1991, p57.

¹⁶ سجل 262، علبة 30 من سلسلة بيت البايك، الورقة 01 من الأرشيف الوطني ببئر خادم.

¹⁷ Sakina Missoum, ; Alger à époque ottomane, la médina et la maison traditionnelle, edisud, 2003, p .

¹⁸ كلمة أسطى، كلمة تركية عثمانية وتكتب أسطى وتعني باللغة العربية المعلم.

¹⁹ Colin, G, Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie, Paris, Éditions Ernest Leroux, 1901, P 35.

²⁰ Colin, G, Ibid, N° 20, pp35-36.

²¹ صليحة جدي، المنشآت المائية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة أثرية تحليلية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2017-2018، ص ص 67-68.

²² مصطفى أحمد، بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دار البشائر للطباعة، دمشق، 1999، ص 137.

²³ Devoulx, A, "Les édifices religieux de l'ancien Alger" in Revue Africaine, vol 12, 1868, p 278 (177-289).

²⁴ Devoulx, (A), Tachrifat, recueil des notes historiques sur l'Administration de l'ancienne régence d'Alger, imprimerie du gouvernement Alger, 1852, p59.

²⁵ لقد عثر ديفولكس على عقدين يشيران إلى هذه الساقية، أحدها يذكر أنها بنيت سنة 1203 هـ/1788م، أما الثاني فيصف موقع العين التي تتزود منها.

²⁶ سميت باب عزون بهذا الاسم نسبة إلى أحد الثوار من الأهالي اسمه عزون ، ثار ضد الحكم العثماني و حاصر المدينة و لكن بدون جدوى حيث قضى عليه في مطلع الحكم العثماني لمدينة الجزائر وهي أهم أبواب المدينة و أكثرها ازدحاماً، كانت تنطلق منها الطرق الداخلية نحو الريف و جميع المدن الواقعة خارج المدينة و تدخل عبرها المؤونة الغذائية و قد هدمت الباب سنة 1841 م و بني مكانها بابان على نفس المحور لكن هدمتا بعد ذلك بسنوات قليلة عند بناء الأسوار الجديدة، أنظر :

Klein,H ; Feuilletts d'ElDjazair, 1937,p. 72 ,73.

²⁷ Raymond, A : Les grandes villes arabes à l'époque ottomane, Paris, 1985, p.164.

²⁸ أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 24.

²⁹ Klein, H, feuilletts d'El Djazair, Alger, 1937, p 189.

³⁰ Colin G., op.cit. p35 N°20.

³¹ Colin G., op.cit. p42 N°23.

³² Devloux A., op.cit.p.59.